مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية

المجلد 12 / العدد:02(2022)، ص 250-263

المغرب الأوسط المجال والسكان ما بين القرنين 4 و6 هجري،10و12ميلادي

Middle Maghreb field and population Between the 4th and 6th centuries AH, 10th and 12th centuries AD

د.بن عمير زهير[1*]، أ.د.(ة) بكاي هوارية[2]

[1] مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان،

zohir.benamier@univ-tlemcen.dz

[2] مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان،

bekkayehouaria@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/09/09 تاريخ القبول: 2022/10/30 تاريخ النشر: 2020 /12/28

ملخص:

من خلال هذه الدراسة نستعرض المجال الجغرافي لدولة بني حماد، الذي عرف تذبذبا في الحدود مع الدول المجاورة لها، بسبب طبيعة العلاقات السياسية، وكذلك المواجهات العسكرية المتكررة، فقوة الدولة في بعض الأحيان كان عاملا أساسيا في الحفاظ على حدودها التي كانت تتوسع وتتقلص وفقا للظروف والمتغيرات السياسية المحيطة بها، بحيث شملت معظم أراضي المغرب الأوسط الإسلامي في العصر الوسيط، نجد قبيلة صنهاجة وفروعها التي سيطرت على إقليم المغرب الأوسط وكان لها الفضل في تأسيس كيان سياسي وبعث مشروع الدولة، وبعض القبائل البربرية الأخرى.

بالإضافة إلى العناصر البشرية المختلفة التي تعايشت فيما بينها وشكلت المجتمع الحمادي، وكان لهاته التركيبة البشرية دور في الحفاظ على الإطار العام لحدود الدولة طوال فترة تواجدها، بالرغم من الاختلاف في الجنس أو العرق أو حتى العقيدة، فهذا الاختلاف نتج عنه تلاقح الأفكار، وتبعه ازدهار في العمران وفي الحياة والعلمية والفكرية والاقتصادية، وهو ما تجلى لنا في الرقي الحضاري الذي بلغته دولة بني حماد في العصر الوسيط.

* المؤلف المرسل: د.بن عمير زهير، الإيميل: zohir.benamier@univ-tlemcen.dz

كلمات مفتاحية: المجتمع، المغرب الأوسط، أشير، جبل أوراس، قبيلة، صنهاجة.

Abstract:

Through this study, we review the geographical area of the State of Beni Hammad, which has experienced fluctuations in the borders with its neighboring countries, due to the nature of political relations, as well as repeated military confrontations, the strength of the state at times was a key factor in maintaining its borders, which were expanding and shrinking according to the circumstances and political variables surrounding it, including most of the territory of the Middle Maghreb islamic in the Middle Ages, we find the Sanhadja tribe and its branches that controlled the territory of the Middle Maghreb and were credited with establishing a political entity and resurrecting the state project,and some of the other countries, Other Berber tribes.

In addition to the various human elements that coexisted among themselves and formed the Hammadi society, had a role in preserving the general framework of the state's borders throughout their existence, despite differences in gender, race or even creed, which resulted in the convergence of ideas, followed by a boom in urbanization, life, science, intellectual and economic, which was reflected in the civilized sophistication reached by the State of Bani Hammad in the Middle Ages.

Keywords: Society, Middle Maghreb, Asher, Mount Oras, Tribe, Sanhadja.

مقدمة:

للحديث عن المجال الجغرافي للمغرب الأوسط خلال القرنيين 4 و6 هجريين،10و12 ميلادي، نستعرض المجال الجغرافي للدولة الحمادية، بالإضافة إلى السكان الذين استقروا في المنطقة من حيث الانتشار القبلي لقبيلة صنهاجة التي مثلت معظم النسيج الاجتماعي للدولة، ومن فروعها قبيلة تلكاتة منها فرع بني حماد الذين لهم الفضل في تأسيس كيان سياسي بالمغرب الأوسط، وبالإضافة الى مخلف فئات المجتمع الحمادي الأخرى، فالمجال الجغرافي الذي انتشرت فيه قبيلة صنهاجة بالمغرب الأوسط واستوطنت فيه، هو الإطار الجغرافي للدولة بني حماد التي عرفت طوال الفترة التي دامت خلالها العديد من الأحداث السياسية والعسكرية، لذلك عرفت حدودها الجغرافية تذبذبا فطبيعة العلاقات

السياسية وقوة أو ضعف الدولة كان عاملا أساسيا في الحفاظ على حدودها التي كانت تتسع وتتقلص حسب الظروف والمتغيرات السياسية المحيطة بها، ففي أقصى اتساع لها شملت جل أراضي المغرب الأوسط.

ولتعرف على المجال الجغرافي والمجمع بالمغرب الأوسط يمكن طرح الإشكال التالي:

ما هو المجال الجغرافي الذي مثلته الدولة الحمادية بالمغرب الأوسط؟

ما هي التركيبة البشرية للمجتمع الحمادي؟

فالهدف من الدراسة هو ضبط المجال الجغرافي للحمادية بالمغرب الأوسط الاسلامي خلال العصر الوسيط، والذي نجد فيه اختلاف في كتابات بعض المؤرخين والمستشرقين، بالاعتماد على مصادر تاريخية وجغرافية وكتب الرحالة التي أوردت لنا نصوص تاريخية وأخبار عن تاريخ الدولة الحمادية وكذا التعرف على التركيبة البشرية للمجتمع الحمادي وأهم عناصره من القبائل البربرية والعربية ومختلف فئات المجتمع بالدولة، فالاختلاف في التركيبة البشرية للمجتمع الحمادي نتج عنها ازدهار عمراني وفكري وعلمي وحتى اقتصادي بالدولة الحمادية بالمغرب الأوسط.

1. المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط:

من خلال كتابات بعض الرحالة والجغرافيين والمؤرخين القدماء وحتى كتابات بعض المؤرخين والباحثين المتأخرين، يمكن التعرف على المجال الجغرافي لدولة بني حماد بالمغرب الأوسط: فالبكري (ت478هـ/1113م) هو أحد الجغرافيين الذي عاش وعاصر الدولة الحمادية، فلم يذكر تحديدا واضحا لحدودها، بل اكتفى بذكر بعض المدن والمراسي التابعة للمغرب الأوسط خلال عهد بني حماد، منها تلمسان التي ذكرها بأنها قاعدة المغرب الأوسط بالإضافة إلى وهران وتنس، ومليانة وجزائر بني مزغنى وبجاية بونة التي ذكرها بأنها من بين مراسي بني حماد ومدينة المسيلة والقلعة وبلاد الزاب وبسكرة وطبنة وأشير وتيهرت وقسنطينة وميلة وسطيف وجبل أوراس. (البكري أ.، د.ت، صفحة 65،75،76.)

وفيما يخص رأي الإدريسي (ولد سنة 493/1100م،وتوفي سنة558هـ/1163م)هو أحد الرحالة الجغرافيين المعاصرين للدولة الحمادية، لكنه لم يورد لنا تحديد واضح المعالم للحدود دولة بني حماد، واكتفى بذكر المدن التابعة لإقليم المغرب الأوسط وهي كالآتي: وهران وتنس وبرشك، ومليانة وشرشال وجزائر بني مزغنا وتامدفوس ومرسى الدجاج وتدلس، ومدينة بجاية التي قال عنها:«...مدينة بجاية في وقنا هذا [الإدريسي] مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد» (الإدريسي، د.ت،مجلد1، صفحة 251،260)، بالإضافة إلى عدة مدن أخرى منها دار الملوك والغدير والقلعة والمسيلة وايكجان وبلزمة وسطيف، قسنطينة، قلعة بشر، باغاية، تيفاش، طبنة، جيجل، القل، بونة، أشير، تاهرت وتلمسان (عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، 1991، صفحة 82).

ويذكر الإدريسي أن تلمسان هي قفل بلاد المغرب (الإدريسي، د.ت،مج1، صفحة 250)، ولم يحدد ما إذا كانت بلاد المغرب الأوسط أو المغرب الأقصى، فكلمة قفل تعني البوابة أو الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، كما سكنت تلمسان قبائل زناتة التي كان لها الفضل في السيطرة على المجال الجغرافي الواقع مابين تلمسان وتاهرت ومن بين فروع قبيلة زناتة التي استوطنت هذه المنطقة: كبني توجين، وبني وامانوا، وبني يلومان ومغراوة وبني راشد وغيرها. (الأدريسي، د.ت،مج1، صفحة 256،257).

أما بخصوص رأي ابن خلدون (732-808هـ/1332-1406م) (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 1) فان حدود الدولة الحمادية تبدأ ما بين جبال أوراس إلى تلمسان ونهر ملوية، حيث جعل جبال أوراس هي الحد الطبيعي من الشرق لقسنطينة أما تحديده للحدود الغربية فجعل مدينة تلمسان ونهر ملوية (عويس، 1991، صفحة 81) ، ففي حديثه عن توسعات المرابطين نحو بلاد المغرب الأوسط ذكر وفي سنة 473هـ/1080م :«...ثم نهض في عساكره المرابطين إلى بلاد المغرب الأوسط، فافتتح مدينة وجدة وبلاد بني يزتاسن، ثم افتتح مدينة تلمسان» (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 247).

فالملاحظ هو أن مدينة تلمسان كانت بيد زناتة وكانت دارا لملكهم أيام دولة بني حماد والتي كانت في صراع دائم مع قبائل زناتة التي كانت تعيش على الترحال من مكان لأخر، ففي فصل الشتاء تتجه نحو الجنوب، أما في فصل الصيف كانت تتجه نحو الشمال السهول الممتدة بين تلمسان وتيهرت بحثا عن العشب والكلأ لماشيتهم (الإدريسي، د.ت،مج1، صفحة 256،257)، لكن مع مطلع سنة 474هـ/ 1081م، فقد خضعت تلمسان تحت حكم دولة المرابطين وبسطت نفوذها عليها، وذكر ابن خلدون المدن التابعة للدولة بني حماد، منها مدينة المسيلة، وأشير والقلعة وطبنة وبلاد الزاب وتاهرت ومرسى الدجاج وسوق حمزة وبلاد زواوة قرب بجاية، وما يفتح من بلاد المغرب الأوسط (ابن خلدون، 1421هـ/2000م، ج6، صفحة 233،227) بالإضافة إلى مدينة قسنطينة وتاجيس، وبسكرة وشلف وملیانة وجزائر بني مزغنة وبونة ونقاوس وجبل أوراس ووريغة بناحية بلاد الزاب قرب ورجلان (بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، 1977، صفحة 59)، فتقريبا كل المدن والمناطق التي افتتحها الحماديون من بلاد المغرب الأوسط كانت تمثل المجال الجغرافي لدولة بني حماد.

يرى عبد الحليم عويس وهو أحد المورخين المتأخرين، أن حدود دولة بني حماد هي في شكل مثلث قاعدته ورجلان (ورجلة) في الجنوب وحده الشرقي مدينة بونة وخليج القل أما حده الغربي لم يتجاوز سيوسيرات(مدينة السيق تقع غرب الجزائر حاليا) كما تدخل فيه مجموعة المدن والأقاليم الواقعة تحت خط هذا المثلث (عويس، 1991، صفحة 86)، منها سيق وتنس وجزائر بني مزغنة (البكري أ.، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، د.ت، صفحة 66)ودلس وبجاية والقل وسكيكدة وبونة بالإضافة إلى المدن الداخلية كقسنطينة وسطيف وأشير وملیانة وتيهرت وبسكرة وورجلان في الجنوب. (عويس، 1991، صفحة 86)

يمكننا القول إن حدود الدولة الحمادية عرفت طول الفترة التي دامت خلالها، العديد من الأحداث والتغيرات السياسية والتي كانت في بادئ الأمر تمثل أشير وتيهرت والقلعة وكل ما يفتح من بلاد المغرب الأوسط واستمرت في توسعها إلى أن شملت جل أو معظم إقليم المغرب الأوسط.

2. التركيبة البشرية للمجتمع الحمادي:

2. 1. العنصر البربـري: ينقسم البربر إلى مجموعتين رئيستين، هما البربر البرانس وهم من عقب برنس بن بر، والبربر البتر الذين يرجع نسبهم إلى مادغيس الأبتر بن بر، وبر هذا جد البربر ويعود نسبه إلى كنعان بن حام بن نوح عليه السلام (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 1982، صفحة 495).

2. 1.1. البربر البتـر:

ٌ لُطلق عليهم اسم البربر البتر نسبة إلى جدهم مادغيس الأبتر، غلب على حياتهم طابع البداوة ،فهم بدو رحل عندما يشتد عليهم الوضع المعيشي، كثيرا ما كانوا يغيرون على المدن المستقرة لسليهم ما يملكون، أي كانوا يعيشون على رماحهم ويقطعون السبيل لسلب قوافل المارة في مجالها أو تدفع له مقابل عدم التعرض لها، ومعاش المعتزين منهم أهل الانتجاع والإضعان في الإبل وضلال الرماح وقطع السابلة» (القفري، دور البربر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي ، 2017، صفحة 42)، كان تواجدهم بالمناطق الصحراوية وبعض المناطق الداخلية الجبلية ببلاد المغرب الأوسط والمناطق البعيدة عن المناطق الحضرية، فكانت منازلهم من الخيام والشعر والصوف وكانت مهنتهم تربية المواشي والجمال والخيول التي يحتاجونها في حياتهم اليومية كما يحتاجونها في التنقل والترحال (مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، 1986، صفحة 187)، ومن أشهر قبائل البربر البتر نجد قبيلة نفوسة، التي تعد من أكبر قبائل البربر البترية، ومنها فروع كثيرة مثل بني زمور وبني مكسور وماطوسة وكانت مواطنهم بجهة طرابلس وما يليها، بالإضافة إلى قبيلة نفزاوة وهم من بني تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك، وبطونهم كثيرة، منها مرنيسة وسوماتة، زاتيمة، ولهاصة وورسيف وورفجومة. (القفري، 2017، صفحة 44،43).

بالإضافة إلى وجود عدة قبائل أخرى منها قبيلة لواتة وهي بطن عظيم من بطون البربر البتر ينتمون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك ولها بطون عديدة منها سدراتة وأكورة وجرمانة ومزاتة وقبيلة لواتة، استقرت بنواحي برقة إلى غاية جبل الأوراس بالمغرب الأوسط وامتد تواجدها إلى غاية تاهرت بالمغرب الأوسط (الإدريسي، د.ت،مج1، صفحة 222)، وقبيلة ضريسة ولماية ومديونة وقبيلة كومية، ومغيلة ومطماطة وملزوزة ومكناسة ويعود نسبهم إلى مادغيس الأبتر واستقرت هاته القبائل بالمغرب الأوسط في المناطق الداخلية والصحراوية، وامتد تواجدها إلى غاية لمغرب الأقصى (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 168،159)، ويذكر ابن خلدون أن قبيلة زناتة تعتبر من بين قبائل البتر التي عرفت التحضر والتقدم في العمران أكثر من غيرها، وعرفت حياة التمدن والاستقرار وأسست مدن

وتجمعات حضرية إذا ما قارنها بغيرها من القبائل البترية الأخرى، ومناطق تواجدها بالمغرب الأوسط والمناطق الداخلية منه حتى أطلق عليه اسم موطن زناتة بالإضافة إلى الجزء الشرقي من المغرب الأقصى إلى جبال تازة. (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج7، صفحة 4،3).

2. 1. 2. البربر البرانس:

يعود نسب البربر البرانس إلى برنس بن بر بن مازيغ وهناك من جعل تسميتهم بالبرانس، نسبة إلى "البرنس" (ابن حوقل، صورة الأرض، 1996، صفحة 99)وهو لباس يرتدونه هؤلاء البربر يذكر ابن خلدون أن هؤلاء البربر: «...هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم ،ملئوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره يتخذون البيوت من الحجارة والطين والخوص والشجر والوبر ويظعن أهل العز منهم والغلبة للانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل للركوب والنتاج ،وربما كانت الإبل في مكاسبهم أهل النجعة منهم شأن العرب» (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 116)فمن خلال قول ابن خلدون نستشف أن البيئة التي سكنتها هاته القبائل لها دور كبير في تحديد نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية لحياة البربر الذين سكنوا هاته المنطقة.

ولقبائل البرانس فروع عدة نجد منها ازداجة وأوربة، عجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة ومصمودة (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 117)، وأوريغ (ابن حزم، 1982، صفحة 495)،كما أضيف إلى هاته القبائل قبيلة لمطة وهسكورةوقبيلة جـزولة (مجهول، 2005، صفحة 158) فالبربر البرانس أكثر تحضر من البربر البتر ويطلق عليهم البربر الحضر، فالحضر هم من سكنوا المدن وأسسوا مراكز حضارية بخلاف البربر البتر فحياتهم أقرب إلى البداوة ويعيشون في المناطق المنبسطة والسهول للبحث عن الكلأ والعشب لمواشيهم ويعتمدون في حياتهم على التنقل والترحال ،في حين البربر البرانس اعتمدوا على حياة الاستقرار ومارسوا مختلف الأنشطة الزراعية وغيرها (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 116)، وهـناك من المؤرخين من يجعل أصـول قبيـلة صنهاجة وقبيلة كتـامة إلى حمير فيرجعونهم إلى ولد قيس بن عيلان وبالتالي يؤكدون النسب العربي لقبيلتي صنهاجة وكتامة. (مؤنس، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، 1997، صفحة 28) .

من أهم قبائل البرانس نجد قبلية كتامة التي استوطنت شمال المغرب الأوسط وهاته القبيلة كان لها دور كبير في احتضان الفكر الشيعي ببلاد المغرب بالإضافة إلى دورها في قيام الدولة الفاطمية بالمنطقة (الإدريسي، د.ت،مج1، صفحة 270،269) وساندت قبيلة كتامة الفاطميين في بادئ الأمر قبل صنهاجة وامتدت مواطن كتامة في المنطقة الشرقية من بلاد المغرب الأوسط ولها عدة فروع منها قبيلة زواوة (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 169) التي سكنت نواحي بجاية ما بين موطن كتامة وصنهاجة ولها بطون عدة، وقبيلة صنهاجة الي حكمت بـلاد المغرب بعـد انتقـال الفاطميين إلى مصـر لتحـل الـدولـة

الصنهاجـية محـل الـدولة الفاطمـية العبيـدية ببـلاد المغرب (ابن حوقل، 1996، صفحة 101،102) وهاته القبيلة كان لها الفضل في قيام هاته الدولة البربرية التي تفرعت فيما بعد إلى دولة بني زيري في إفـريقية ودولـة بني حماد في المغرب الأوسـط. (مؤنس، 1997، صفحة 30).

فقبيلة صنهاجة من الطبقة الأولى على حد تعبير ابن خلدون ومن أعظم بطونها قبيلة تلكاتة، وموطن انتشارها بالمغرب الأوسط وافريقية (ابن خلدون، 1421هـ/2000م،ج6، صفحة 202،203) ، وكان أهل هاته الطبقة من بني ملكان وبني كرت ومواطن انتشارهم بالمسيلة وحمزة إلى جزائر بني مزغنة والمدية وملیانة والمناطق الواقعة إلى البحر شرق بجاية إلى غاية تخوم افريقية ،بالإضافة إلى وجود بعض فروع صنهاجة بالمغرب الأدنى، ولصنهاجة بطون كثيرة منها: وانوغة وبنو جعد وبنو ملكانة وبنو خليل وبنو مزغنة وبنو مليكش وغيرها (مجهول، 2005، صفحة 167) وكانت لها الرياسة على كامل فروع صنهاجة، ببلاد المغرب الأوسط ويرجع إليها فروع الحماديين الذين أسسوا دولة بني حماد بالمغرب الأوسط. (ابن حوقل، 1996، صفحة 102).

2.2. العنصر العــربي:

يعود تواجد العنصر العربي في بلاد المغرب الأوسط إلى بداية الفتوحات الإسلامية على غرار افريقية والمغرب الأقصى والأندلس فقد شهدت بلاد المغرب الإسلامي تواجد كبير للعنصر العربي، فقد تعامل العرب الفاتحين مع البربر ومنذ البداية بسياسات مختلفة ،لكن أهمها سياسة اللين بهدف الاطلاع على طبائعهم وأخلاقهم من أجل استمالتهم للدين الإسلامي عن طريق بناء الربط (بونابي، 2004، صفحة 54،55)وإرسال الفقهاء والعلماء الذين كانوا يعلمون الدين الإسلامي بين السكان بالإضافة إلى اللغة العربية وذلك لقراءة القرآن الكريم وتعلم الصلاة وغيرها في أوساط البربر خاصة وأن البربر كانوا سرعان ما يرتدون عن الدين بعد إعلان إسلامهم، (شبانة، 1429هـ/2008م، صفحة 20).

فالتواجد العربي بالدولة الحمادية تزايد بشكل كبير بعد الهجرة الهلالية لبلاد المغرب فبعد رجوع بنو زيري بإفريقية وبنو حماد بالمغرب الأوسط عن الدعوة للفاطميين الشيعة بمصر وخطب للعباسيين (ابن عذارى، 1983،ج1، صفحة 288) في بغداد فعظم ذلك على الخليفة الفاطمي المستنصر فطلب من وزيره (أبي الفدى، 1323هـ،ج2، صفحة 170)، الحسن بن علي اليازوري، إلا أن جمع زعماء القبائل العربية من بين هلال وبني سليم، فالخليفة الفاطمي المستنصر عند إرساله للقبائل العربية إلى بلاد المغرب أقطع كل من هاته القبائل منها رياح وزغبة والأثبج وعدي فاجتاحت بلاد إفريقية والقيروان. (ابن الأثير أ.، 1407هـ/1987م،مج8، صفحة 295،296).

زحفت القبائل العربية على بلاد المغرب الأوسط، واستقروا به عنوة في بعض المدن والبوادي القريبة من مدينة القلعة عاصمة بني حماد، كما استقرت به أيضا قبائل الأثبج وعدي في البسائط والتلال وفضلت حياة البادية كما هو معروف عنهم أنهم بدو يمتهنون حرفة الرعي،وتجتمع القبيلة العربية في مكان

معين وتستهلك مواردها الطبيعية وتستقر فيه مدة طويلة أو تستأنف مسيرتها بعد انقراض عناصر الحياة فيها فهجرة الهلاليين إلى بلاد المغرب كانت عبارة عن موجات متتالية (بوسماحة، 2008،ج1، صفحة 110) ، وتعرضت القلعة للتخريب من قبلهم، فاضطر الناصر بن علناس إلى نقل العاصمة إلى مدينة بجاية، فمدينة بجاية عمرت بخراب القلعة، (ابن خلدون، 1421هـ/ 2000م،ج6، صفحة 232).

دخل الناصر بن علناس في سياسية مهادنة والمسالمة التي انتهجها أمراء بني حماد خاصة وأن الناصر أحسن إليهم وسعى في كسب ودهم وفضل عدم الدخول معهم في مواجهة ، إن الجهات التي دخل منها العرب الهلاليين إلى المغرب الأوسط لم تكن متماثلة بل كانت مختلفة، حسب المناطق الجغرافية والخصائص التي تميزت بها، وقد دخلوا بلاد المغرب الأوسط عبر جهات الثلاث حيث تتمثل الأولى في السواحل منها نواحي باجة فانتشروا إلى ضواحي عنابة والمناطق الساحلية القريبة منها إلى قسنطينة وأرض كتامة، والجهة الثانية من ناحية القلعة والمدن والبوادي القريبة منها فدخلوا من نواحي الأربس وانتهوا إلى مدينة القلعة (مجهول، 1986، صفحة 130)، أما الجهة الثالثة فهي الصحراء أو موطن زناتة وتقدموا إليها من ناحية سبيبة إلى الأوراس وبلاد الزاب واستقروا في هاته المناطق. (الميلي، د.ت،ج2، صفحة 182،183).

بعد أن استقر هؤلاء العرب الذي قدموا على بلاد المغرب الأوسط منذ منتصف القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي وكونوا عنصرا من سكان دولة بني حماد حيث أقاموا علاقات اجتماعية مع البربر الذين يجاورونهم، فامتزجوا معهم شيئافشيء وشكلوا فئة من المجتمع الحمادي وكان لهم الفضل في تعريب البربر وانتشار اللغة العربية بين أرياف بلاد المغرب، وبالإضافة إلى العرب الذين كانوا متواجدين بالمغرب الأوسط منذ مرحلة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب نجد منهم يمنيين وقيسيين بضواحي بلاد الزاب وغيرها من مناطق المغرب الاوسط (بورويبة، 1977، صفحة 160،161)، استقروا بمدينة القلعة وانتقلوا مع الناصر بن علناس إلى مدينة بجاية. (عويس، 1411هـ/1991م، صفحة 179).

كما كان للقبائل العربية أثار على المجتمع ببلاد المغرب الأوسط، منها انتشار الخوف وقلة الأمن ،وساءت أحوال الطرق البرية، بسب انتشار الحرابة في أوساطهم ،واستعملوا أدوات مختلفة أحدثت أضرار فعلية ، واختلفت درجتها بين أقطار المغرب، وتسبب أيضا في اضطراب أحوال المسالك بالنسبة للتجار والقوافل، ما تطلب لأمر لاستعمال الجند في تنقلاتهم في أوقات لم تكن الأوضاع السياسية سيئة بالضرورة. (خلفات، 2020، صفحة 135).

بالرغم من الخراب الذي تعرضت له بعض مدن المغرب الأوسط، وانتشار الخوف وانعدام الأمن الذي صحب نزوح العرب الهلالية إلى بلاد المغرب الأوسط واستقرارهم فيه في كثير من الأحيان إلا أنه أسهمت القبائل العربية في تعريب بلاد المغرب الأوسط بسبب امتزاجهم واختلاطهم مع البربر سواء عن طريق التجارة أو العلاقات الاجتماعية الأخرى كالزواج وغيرها. (المدني، 1956، صفحة 60)، بعد أن استقر هؤلاء العرب الذي قدموا على بلاد المغرب الأوسط منذ منتصف القرن الخامس هجري، الحادي عشر

ميلادي وكونوا عنصرا من سكان دولة بني حماد حيث أقاموا علاقات اجتماعية مع البربر الذين يجاورونهم، فامتزجوا معهم شيئا فشيء وشكلوا فئة من المجتمع الحمادي وكان لهم الفضل في تعريب البربر وانتشار اللغة العربية بين أرياف بلاد المغرب. (بل، 1981، صفحة 214).

2. 3. عناصر أخرى:

2. 3. 1. الأندلسيون:

يعود تواجد الأندلسيون ببجاية التي كانت عبارة عن ميناء للحماديين عندما كانت العاصمة مدينة القلعة أي قبل تأسيس المدينة على يد الناصر بن علناس حيث ذكر البكري:«...أن بجاية أزلية أهلة عامرة بأهل الأندلس» (البكري أ.، د.ت، صفحة 82)، إن لجوء الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط في العهد الحمادي هو لجوء استقرار واندماج فعندما ضعف سلطان المسلمين في الأندلس إلى جانب التوسع الصليبي على أرضي المسلمين بالأندلس، كانت مدينة بجاية هي المأوى الوحيد لهاته الفئة التي عاشت في كنف دولة بني حماد وشكلت جزءا من المجتمع بها (عويس، 1411هـ/1991م، صفحة 237).

أصبحت بجاية مدينة مزدهرة ذلك لموقعها المتميز على ساحل البحر، وكانت تربطها علاقات تجارية مع الموانئ البحرية لشمال بحر الروم لاسيما الممالك النصرانية والأندلسية وبالتالي توافد عليها الأندلسيون نظرا للمكانة الاقتصادية وانتعاش التجارة بها. (ذنون طه، 1435هـ/2014م، صفحة 115) ،وظل الأندلسيون يتوافدون على دولة بني حماد طوال فترات مختلفة من عمر الدولة امتهن عدة حرف في مجال الصناعة منها صناع الجلود والدباغة وتصفية قصب السكر وطرق الفلاحة والري وصناعة الخزف (المدني، 1956، صفحة 60) ، وأيضا في الفن والبناء والتعمير بالإضافة إلى الميدان العلمي والثقافي نظرا للمكانة العلمية التي بلغتها الأندلس في تلك الفترة، خصوصا وأن بجاية في العهد الحمادي أصبحت قبلة علمية لكثير من العلماء وطلبة العلم. (شبانة، 1429هـ/2008م، صفحة 126) .

يذكر صاحب كتاب الاستبصار أن بجاية كانت المدينة التي يلجئ إليها العديد من أهل الاندلس بعد الاضطهاد الذي عانوه بسبب حروب الاسترداد المسيحي والحقد الصليبي، إذ يقول:«...وكان فيها بقية صنهاجة الموتورين، جعلوا يدخلون أمثالهم ممن وترت دنياه وأخراه كأهل الأندلس "ميورقة" المنقطعين فيها من بني جنسهم» (مجهول، 1986، صفحة 131)، فيه إشارة إلى انتقال أهل الأندلس منهم صنهاجة المرابطين الذين فروا من الأندلس نحو بجاية، بعد ملاحقتهم من قبل الموحدين.

كما نجد حتى لجوء حكام أندلسيين إلى الدولة الحمادية، عندما فر معز الدولة بن صمادح حاكم ألمرية عندما زحف إليه جيش المرابطين لما ملكوا الأندلس، فنزل على المنصور بن الناصر واستقر بتدلس أو (دلس) وأنزله بها (محمد بن عميرة و لطيفة بشارى بن عميرة، 2015م، صفحة 95)، زيادة على الأندلسيين العامة الذين امتازوا بثقافتهم وراعتهم في أنشطة مختلفة، وكانوا يترددون عل أراضي الدولة الحمادية وخاصة منها بجاية والقلعة وبعض المدن الواقعة على الساحل.

2. 3. 2.المسيحيون:

يعود تواجد المسحين بالمغرب الاوسط إلى فترات متقدمة أي منذ العهد الروماني في بلاد المغرب واستقر المسحيين في مدن ومناطق متفرقة من بلاد المغرب، وانتشرت المسيحية في أوساط القبائل البربرية واعتنق العديد منهم الديانة المسيحية وعند مجيء الإسلام مع الفاتحين منهم من اختار الدين الإسلامي ومنهم من بقي على الدين المسيحي مع وفع الجزية وحرية ممارسة شعائره الدينية (ابن خلدون، 1421ه/2000م،ج6، صفحة 141) ، فعند تأسيس الدولة الحمادية سنة 389ه/1007م على يد حمادي بن بلكين بن زيري واختار من مدينة القلعة عاصمة له التجئ الكثير من المسيحين البربر إليها خاصة وأن مدينة القلعة مدينة محدثة البناء فتحتاج إلى ساكنة من أجل تعميرها وشكل تواجدهم بمدينة القلعة حصنا منيعا لهم هذا راجع إلى سياسة التسامح الديني التي انتهجها الأمراء الحماديون منذ بداية عمر الدولة. (الغرايب، 2015، صفحة 180).

إن تواجد المسيحين البربر في مدينة القلعة بداية القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلاي يرجع إلى عدة عوامل منها انتشار الفوضى في بلاد المغرب ومشكلة التمزق التي كانوا يعيشونها خاصة بعد خروج الفاطميين وانتقالهم إلى مصر، فوجود كيان سياسي يحمى مصالح المسيحيين وكذا حرية ممارسة نشاطهم الديني وكذلك أعراضهم وممتلكاتهم وتجارتهم دفع بالعديد منهم إلى التوجه نحو مدينة القلعة، أو من مختلف مدن الدولة الحمادية جاءوا إليها من الأوراس ومن إفريقية ومن كتامة زواوة والمسيلة (فيلالي، 2014، صفحة 26) ، وتعد مدينة طبة ببلاد الزاب مركزا هلما به أخلاط من قريش والعرب والعجم والأفارقة والروم والبربر (العربي، د.ت، صفحة 178،186).

ومدينة بونة هي مدينة أفشتين (القديس اغستين) (شريف، 1432-1433ه/2011-2012م، صفحة 21) العالم بدين النصرانية (العربي، د.ت، صفحة 197)كان بها جالية مسيحية، واستمر توافد المسحيين على دولة بني حماد طوال عمر الدولة، فعند سيطرة المرابطين على مدينة تلمسان فر العديد المسيحيين نحو مدينة القلعة ومعظمهم من قبيلة مغراوة البربرية (الغرايب، 2015، صفحة 181)، وجد انتشار المسحيين في عدة مدن بالدولة الحمادية على غرار مدينة بجاية، (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 376) حيث كانوا يتمتعون بقدر من الحرية في ممارسة شعائرهم الدينة وممارسة نشاطاتهم اليومية بصفة عادية. (فيلالي، 2014، صفحة 26).

فالدولة الحمادية عرفت نوعا من الاستقرار السياسي والتسامح الديني وقد يعود ذلك إلى عهد القلعة، حيث كان للمسيحيين بالقلعة كنيسة يمارسون فيها شعائرهم الدينية وبعد الغزو الهلالي على بلاد المغرب الأوسط وتعرضت القلعة للتخريب عندها انتقل الحماديين إلى بجاية، فانتقل معهم عدد كبير من المسيحيين نحو بجاية (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 376).

وفي سنة 468هـ/1076م، طلب الناصر بن علناس من البابا قريقورا السابع تعيين الأسقف "سرفندوس" أو "سرفند" قسا على كنيسة ببجاية فسارع البابا إلى تلبية هذا الطلب (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 375)، فمسألة وجود المسيحيين بالدولة الحمادية كان منظم إلى درجة كبيرة، بحيث كان لهاته الجالية المسيحية قناصل ورؤساء يمثلونهم سياسياواجتماعياواقتصاديالحمادية حقوق هاته الفئة عند الحماديين (الهادي روجي، 1992،ج2، صفحة 243)، وكانت مهمة القنصل هي إدارة الشأن العام للفندق والأفراد الذين يقيمون به ويعين القنصل من طرف حكام بلده (الغرايب، 2015، صفحة 244)، وعاش المسيحيين الاحرار الذين استقروا في الدولة الحمادية فهم من أهل الذمة في إطار أحكام الشريعة الإسلامية، فلهم حقوق وعليهم واجبات كما يتمتعون بحرية ممارسة المعتقد الديني في ظل احترام مبادئ الدين الإسلامي باعتباره دين الدولة واحترام الآداب العامة للمجتمع الإسلامي الذي هم يعيشون في كنفه. (عويس، 1991، صفحة 238).

2. 3. 3. اليهود:

مع بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عام22هـ/642م، (ابن الأثير، 1407هـ/1987م،مج2، صفحة 428)واستمر حتى سنة 86هـ/704م بقيادة موسى بن نصير، أصبحت المنطقة تعرف ببلاد المغرب الإسلامي، (ابن عبد الحكم، 1999،ج1، صفحة 274، 275)وأما اليهود الذين كانوا قد استقروا بها، فقد خيروا بين اعتناق الإسلام أو دفع الجزية في إطار قانون أهل الذمة، استقر اليهود ببلاد المغرب الأوسط باعتبارهم من أهل الذمة، ومكان تواجدهم المدن والمراكز التجارية الكبيرة، وعلى طرق التجارة العامة، فمدينة تنس التي تقع على ساحل البحر وأسسها جماعة من البحارة الاندلسيين سنة 262هـ/875م لتكون موفأ لتجارة الأندلس مع بلاد المغرب وأصبحت وجهت الأندلسيين ومقصدهم بتجارتهم، ينطلقون منها نحو باقي مدن المغرب أو نحو بلاد السودان أو المشرق عبر إفريقية (بشير، 2001، صفحة 43) ، ونظرالأن المدينة أضحت مركز تجارة استقر بها اليهود ودفعوا الجوالي، وهي من الجلاء، أي الذين جلوا عن أوطانهم ويعشون في البلاد الإسلامية وهي الجزية التي يدفعها اليهود لبيت مال المسلمين. (بشير، 2001، صفحة 33).

كان اليهود مستقرين بقلعة بني حماد وخصوصا بعد دخول العرب الهلالية إلى بلاد المغرب الأوسط عبر إفريقية والقيروان، انتقل معظم اليهود بعد تخريب القيروان، إلى القلعة وكانوا تجاراوأطباء وصياغ وخبراء بالأمور المالية، والجدير بالذكر هو أن سكان المغرب الأوسط في العهد الحمادي من شيعيين وسنيين وإباضيين ومسيحيين ويهود كانوا متعايشين مع بعضهم البعض رغم الاختلاف في المذهب والمعتقد أو حتى الدين. (بورويبة، 1977، صفحة 166) فقلعة بني حماد ،كانت مركزا هلماللثقافة اليهودية، ولد بها إسحاق بن يعقوب الفاسي، سنة 403هـ/1013م وتعلم بها الدراسات اليهودية، بعد وفاة "حنا نائيل" أصبح مدير الدراسات اليهودية بالمغرب بها بعد سنة 481هـ/1088م اضطر إسحاق بن يعقوب الفاسي إلى

مغادرة القلعة إلى فاس بالمغرب الأقصى واستقر بها، حيث اخذ عنه العديد من الطلبة ثم سافر إلى الأندلس واستقر بقرطبة واستقبله بن نغريلة ثم انتقل إلى غرناطة ،ثم استوطن لوسينة أو اليسانة بالأندلس التي كانت منفى لليهود ولهم أكبر تجمع فيها، حيث توفي سنة 497هـ/1103م-1104م، ومن مؤلفاته " الهلخوت" وهو مختصر التلمود، الذي يحتوي على شريعة اليهود وكان هذا الكتاب أشهر الكتب لدى يهود بلاد المغرب، وبالتالي كان إسحاق بن يعقوب من الفقهاء المجتهدين في الشريعة اليهودية، (بشير، 2001، صفحة 33)، (بورويبة، 1977، صفحة 198)، (شحاته، 1999، صفحة 195).

فتواجد اليهود بمدينة القلعة، دليل على وجود جالية يهودية بدولة بني حماد وانتقلت معهم إلى بجاية بعد خراب القلعة على يد العرب الهلالية، وكانت مدينة القلعة مقصداللتجار وذلك لموقعا المتميز، وسكن بها اليهود على اختلاف فئاتهم منهم العلماء والتجار والصناع والحرفيين.

خاتمة:

أتاحت لنا هذه الدراسة التعرف على سكان وقبائل المغرب الأوسط خلال الفترة الحمادية وكذا معرفة المجال الجغرافي للدولة:

- يمكن القول أن الدولة الحمادية، تعرضت طوال الفترة التي دامت خلالها لعديد الأحداث والمتغيرات السياسية والعسكرية، وصراعها الدائم مع قبيلة زناتة على المجال الجغرافي بالمغرب الأوسط من جهة وصراعها مع أبناء عمومتهم بني زيري في المغرب الأدنى، لذلك عرفت تذبذبافي حدودها الجغرافية.

- بالإضافة إلى الانتشار القبلي لقبيلة صنهاجة وعلى رأسها فرع تلكاتة بالمنطقة، والتي سيطرت على المجال وكان لها الفضل في تأسيس كيان سياسي وبعث الدولة الحمادية.

- الاختلاف في التركيبة البشرية للمجتمع الحمادي، فوجود البربر والعرب والأندلسيين، وحتى الاختلاف في المعتقد كالمسيحيين واليهود في المجتمع الحمادي ما هو إلا دليل على حرية المعتقد الديني في الدولة الحمادية قد مثل قمة الوعي والرقي الحضاري الذي بلغته الحماديين في العصر الوسيط.

- الازدهار والرقي الحضاري الذي بلغته الدولة الحمادية في العصر الوسيط، تخللته ظروف سياسية وأخرى عسكرية حيث نجح الحماديين في نقل العاصمة من الأشير إلى القلعة ثم إلى بجاية الناصرية، وكأنه في كل مرة يتم إنقاذ الدولة من السقوط إلى غاية سنة 547هـ/1152م.

- إن استقرار القبائل العربية الذين قدموا إلى بلاد المغرب الأوسط منذ منتصف القرن الخامس هجري، وكونوا عنصرا من سكان المجتمع الحمادي، فمن خلال العلاقات التجارية وكذا علاقات الاجتماعية مع البربر، فامتزجوا معهم شيئا فشيء وشكلوا فئة من المجتمع وكان لهم الفضل في تعريب البربر وانتشار اللغة العربية بالمغرب الأوسط، بعبارة أخرى أنهم استطاعوا تعريب بلاد البربر وهو عجزت عنه سياسة العرب الفاتحين منذ البدايات الأولى لفتح بلاد المغرب الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجـع :

1-المصادر:

1- ابن عبد الحكم، (1999م)، فتوح مصر والمغرب، ج1، القاهرة، دار الأمل للطباعة والنشر.

2- البكري أبي عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

3- ابن حوقل النصيبي، (1986م)، صورة الأرض، بيروت، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، (2000م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، جزء6، جزء7، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

5- مؤلف مجهول، (2005م)، مفاخر البربر، ط1، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

6- الإدريسي أبي عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مجلد1، مكتبة الثقافة الدينية.

7- ابن عذارى المراكشي، (1983م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. ط2. جزء1. بيروت. دار الثقافة.

8- أبي الفدى عماد الدين، (1323ه)، المختصر في أخبار البشر، ط2، جزء2، المطبعة الحسينية المصرية.

9- ابن الأثير أبي الحسن علي، (1987م)، الكامل في التاريخ، ط1، مجلد2، مجلد 8، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

10- ابن حزم أبو محمد بن حزم الأندلسي، (1982م)، جمهرة أنساب العرب، ط، القاهرة، دار المعارف.

2-المراجع:

1- فيلالي عبد العزيز، (2014م)، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط. الجزائر. دار الهدى.

2- العربي إسماعيل. المدن المغربية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

3- روجي إدريس الهادي، (1992م)، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 12/10م. ط1، جزء2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

4- بن عميرة محمد وبن عميرة ولطيفة بشاري، (2015م)، تاريخ بجاية، ط1، الجزائر، دار الفاروق للنشر والتوزيع.

5- بشير عبد الرحمان، (2001م)، اليهود في الغرب العربي (22-462ه/642-1070م)،ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

6- بورويبة رشيد، (1977م)، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

7- بونابي الطاهر، (2004م)، التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6 و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين، عين مليلة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.

8- القفري محمد شايع، (2017م)، دور البربر في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المغرب الإسلامي، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

9- مؤنس حسين، (1997م). معالم تاريخ المغرب والأندلس. القاهرة. دار الرشاد.

10- مؤلف مجهول، (1986م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر.

11- شبانة محمد كمال، (2008م)، الدويلات الإسلامية في المغرب، ط1، القاهرة، دار العالم العربي.

12- شحاته رية عطا علي محمد، (1999)، اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرنيين والوطاسيين، ط1، ديمشق، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع.

13-عويس عبد الحليم، (1991م)، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط، القاهرة، دار الصحوة للنشر والتوزيع.
14- بوسماحة عبد الحميد، (2008م)، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية، جزء1، الجزائر، دار السبيل.
15- بل ألفرد، (1981)، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
16- المدني أحمد توفيق، (1956)، هذه هي الجزائر، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
17- ذنون طه عبد الواحد. (2014م)، أبحاث في تاريخ المغرب والأندلس وصور من التواصل الحضاري مع المشرق. ط1. الأردن. دار الحامد للنشر والتوزيع.
18- الغرايب الحسن، (2015م)، مسيحيو المغرب الأقصى في العصر الوسيط، ط1، الرباط. منشورات مطابع الرباط نت.

3-المذكرات والرسائل الجامعية:

1-شريف عبد القادر، (2011-2012م)، النصارى ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية دولة الموحدين 21هـ-641م/668هـ-1269م، جامعة الجزائر2 ، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ.

4- المقالات والمجلات العلمية:

1-كمال خلفات، (2020م)، أثر هجرة العرب الهلالية إلى المغرب الأوسط على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 01(2020)، ص129-151.